أثر مقصد إصلاح الاعتقاد في توجيه المناسبات عند ابن عاشور

دراسة تحليلية

محمد محمود محمد محمود

قسم الفلسفة والدراسات الإسلامية . مدرسة العلوم الإنسانية . الأكاديمية الليبية فرع الجبل الأخضر

ملخص الدراسة: يتناول هذا البحث دراسة علمين من علوم القرآن، وهما علم المناسبات، وعلم مقاصد القرآن، ليس من جانب التأصيل للعلمين، فإن ذلك قد أشبع بحثًا، وإنما من جانب تأثير الأول في الثاني عند عالم له باع طويل في العلمين معا، وهو الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، الذي يشهد لذلك كتاباته ومصنفاته، وهذا غير خاف على طلبة العلم المختصين في مجال التفسير وعلوم القرآن، مبينا ذلك من خلال مقصد إصلاح الاعتقاد وأثره في توجيه المناسبات عند ابن عاشور من خلال تفسيره " التحرير والتنوير".

Research Summary:

This research examines two branches of Qur'anic sciences: the science of correlations (ʿIlm al-Munāsabāt) and the science of objectives (ʿIlm al-Maqāṣid). However, it does not focus on establishing the theoretical foundations of these sciences, as this aspect has already been extensively studied. Instead, the research explores the influence of the former on the latter through the scholarship of Imam Muḥammad Ṭāhir ibn ʿĀshūr, a distinguished scholar in both fields, as evidenced by his writings and works. This is well known to specialized students of Qur'anic exegesis and sciences. The study specifically examines this relationship through the objective of "rectification of belief" (Iṣlāḥ al-Iʿtiqād) and its impact on the interpretation of correlations in Ibn ʿĀshūr's Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr.

المقدمة: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن تحصيل علوم القرآن والاشتغال بها من أشرف ما تفنى فيه الأعمار وتنفق فيه الأموال، ومن المباحث التي تحدّث عنها العلماء واشتغلوا بها ما حرروه في مقاصد القرآن الكريم، وبيان حكمه وأسراره، وأنها الغاية التي من أجلها أُنزل القرآن.

وقد اخترت علما من أعلام التفسير الذين كانت لهم مشاركة فاعلة في مباحث المقاصد عامة ومقاصد القرآن خاصة، هو العلامة اللّغوي الفقيه المفسر محمد الطاهر ابن عاشور، فمن خلال تتبعي لكثير من المناسبات التي يوردها ابن عاشور بين الآيات لاحظت توظيفه لمقصد إصلاح الاعتقاد في تحقيقه للمناسبة التي يوردها ويتكلم عليها في تفسيره، وهذا ينقل الحديث عن مقاصد القرآن نظريا إلى تطبيقها عمليا، واخترت لذلك العنوان التالي:

(أثر مقصد إصلاح الاعتقاد في توجيه المناسبات عند ابن عاشور دراسة تحليلية)

أهمية الموضوع: تكمن أهمية هذا الموضوع في أنه يتناول بالدّراسة علمين هما: علم المقاصد، وعلم المناسبات، ليس من جانب التأصيل للعلمين، فإن ذلك قد أشبع بحثًا، وإنما من جانب تأثير الأول في الثاني عند عالم له

باع طويل في العلمين معا، يشهد لذلك كتاباته ومصنفاته، وهذا غير خاف على طلبة العلم المختصين في مجال التفسير وعلوم القرآن.

أسباب اختيار الموضوع:

1. أغلب من كتب في مقاصد القرآن الكريم تحدث عنها من جهة التأصيل والتأسيس، دون إعمال جانب التطبيق.
2. أهمية مقاصد القرآن وأثرها في فهم كتاب الله عزَّ وجلَّ.
3. المشاركة في إبراز الإعجاز البياني لنظم القرآن الكريم من خلال بيان انسجام الآيات القرآنية مع مقاصده الكبرى.
4. شخصية ابن عاشور وأعماله العلمية لا تزال مقصداً للباحثين في شتى مجالات علوم الشريعة، وقد اخترت جانب المقاصد القرآنية وإبرازها من الناحية التطبيقية.

أهداف الدراسة:

1. التعرف على مقاصد القرآن الكريم، ومذاهب العلماء في تعيينها.
2. إبراز أثر علم المناسبات في بيان إعجاز نظم القرآن الكريم.
3. إبراز شخصية ابن عاشور المقاصدية من خلال علم المناسبات.
4. إظهار العلاقة بين علم المناسبات ومقاصد القرآن الكريم، من خلال ما يورده ابن عاشور في تفسيره من مناسبات بين الآيات.
5. نقل الحديث عن المقاصد القرآنية من الجهة النظرية إلى الجهة التطبيقية.

المنهج المتبع في الدراسة:

اخترت في دراستي أن أتبع كلاً من المناهج التالية:

1–المنهج الاستقرائي حيث أستقرئ ما ورد في كتب العلماء من الحديث عن مقاصد القرآن الكريم، والاختلاف الواقع بينهم في تعيين هذه المقاصد، كما أستقرئ ما ذكره ابن عاشور من مناسبات أبرز فيها مقاصد القرآن الكريم.

2–المنهج المقارن أقارن بين ما ذكره العلماء من مقاصد القرآن وما اختاره ابن عاشور، محاولاً إظهار وجه الجمع بينهم، وذكر ما رجّحه الباحثون في هذا الخلاف.

3–المنهج التحليلي سلكت منهج التحليل عند إيراد كل من التعريفات والنقول التي تتحدث عن المناسبات والمقاصد.

كما أقوم في الفصل التطبيقي بتحليل ما ذكره ابن عاشور من وجه المناسبة، وإبراز ما حوته من مقصد قرآني

هيكلية البحث:

يقسم البحث إلى مقدّمة، وتمهيد ذكرت فيه ترجمة موجزة لابن عاشور، وثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: علم المناسبات، وما يتعلق به.

المطلب الثاني: علم مقاصد القرآن، وما يتعلق به.
المطلب الثالث: نموذج تطبيقي على أثر مقصد إصلاح الاعتقاد في توجيه المناسبات عند ابن عاشور.
وخاتمة ذكرت فيها النتائج والتوصيات.

التمهيد

ترجمة موجزة لابن عاشور.

1) اسمه ونسبه: هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور [1]، من بيت آل عاشور الأشراف الأندلسيين، وجده للأب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور [2] قاضي الحضرة التونسية، وصاحب المؤلفات القيمة، وجده للأم العلامة الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتُور [3] الذي كان يولي للمُتَرجَم له محبة عناية أثرت في شخصيته العلمية والأدبية [4].

2) ولادته ونشأته: ولد العلامة: محمد الطاهر ابن عاشور بضاحية (المرسى)[5]،وكانت ولادته عام: 1296هـ، الموافق: 1879م، بقصر جده لأمه الشيخ محمد العزيز بوعتور[6]،ونشأ الإمام ابن عاشور في كنف والده، وجدّه لأمه ابن بوعتور فتلقى تعليما أصيلا وتربى بفضلهما تربية فذة، تعلّم في الكتّاب القرآن الكريم فحفظه وجوّده، وتلقى بعض المتون العلميّة التي تعدّ مدخلا لضروب من العلوم والفنون[7]، يقول ابن عاشور عن نشأته: ((إنّي أشكر ما منحت به من إرشاد قيم من الوالد والجد ومن نصحاء الأساتذة))[8] ثم التحق بجامع الزيتونة سنة :1310هـ/1892م، فدرس علوم المقاصد والوسائل، فدرس علوم النحو والصرف والبلاغة والمنطق، كما درس تفسير القرآن والقراءات والحديث وأصول الفقه وقد أشرف على تعيين شيوخ العلم لابن عاشور: الإمام عمر ابن الشيخ[9] الذي درس في الجامع الأعظم "الزيتونة " نحو ستين عاما.

---

(1) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان ط:2، سنة1994م، (3/ 304) وشيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ قطر، سنة: 2004م، (ص:153).

(2) هو أبو عبد الله محمَّد الطاهر بن محمَّد الشاذلي بن عبد القادر بن محمَّد بن عاشور تولى القضاء سنة : 1267ه ، ثم الفتوى سنة : 1277ه ، له كتب منها: شرح على البردة، سماه: شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح وحاشية عل شرح المحلى لجمع الجوامع وغير ذلك ،توفي بتونس سنة: 1284ه ، (ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية ـ لبنان، ط:1،سنة:1424هـ -2003 م (560/1)، والأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط:15، سنة: 2002م، (173/6).

(3) محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب ابن الوزير محمد بن محمد بوعتُور، من كبار الرجال الذين تولوا الوزارة في تونس، ولد في تونس، كان من العلماء أولي الآراء المستقلة، توفي سنة: 1325هـ، بتونس.(ينظر: موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين،ت: علي الرضا الحسينين ، دار النوادر- سوريا، ط:1،سنة 2010 م، 1/11(114-111).

(4) موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، (154/1/11).

(5) المرسى: هي ضاحية تقع بالقرب من العاصمة التونسية، على بُعْد عشرين كيلومتراً منها. وتحتل موقعاً رائعاً على البحر الأبيض المتوسط، وسمُيت بذلك لرسو السفن فيها. (ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، إياد خالد الطباع، دار القلم ـ دمشق، ط:1، سنة:2005 م، (ص:25).

(6) شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور، حياته وآثاره، بلقاسم الغالي، دار ابن حزم، بيروت، ط:1، سنة:1996م، (ص:37).

(7) ينظر: مقدمة تحقيق كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، لابن عاشور، تح: طه بن علي التونسي، دار سحنون، ط:2، سنة: 1428ه/2007م، (ص:7).

(8) ينظر: أليس الصبح بقريب، محمد الطاهر ابن عاشور، درا السلام: القاهرة، ط:1، سنة: 1427هـ/2006م، (ص:11).

(9) هو عمر بن أحمد بن علي المعروف بابن الشيخ، تلقى العلم على كبار أساتذة جامع الزيتونة، ثم جلس للتدريس به، له: الشرح المطول على متن التلخيص، وشرح الأشموني على الخلاصة، وكتاب مغني اللبيب، وشرح المحلي على جمع الجوامع. وتوفي سنة :1329هـ. (ينظر: موسوعة الأعمال الكاملة، للإمام محمد الخضر حسين (11/ 1/ 140 -145).

فظهر بما تقدّم أن الله ـ تبارك وتعالى ـ حبا ابن عاشور بنشأة مباركة طيبة، فنشأ بفضلها الشيخ على أكمل الصفات الدينية وأفضل المناهج التربوية في بيئة علمية وسط أسرة شريفة [10].

3) شيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته.

أولا شيوخه:

تلقى الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور العلم على عدد كبير من المشايخ الأجلاء [11]، ومن أشهرهم ما يلي:

1. الشيخ محمد العزيز بن محمد الطيب بوعتور وهو جده لأمه، وقد وفر لحفيده عناية فائقة، فكان المرشد الأمين والموجه القدير في شتى المجالات العلمية والأدبية والإصلاحية [12].
2. عمر ابن الشيخ، وقد أخذ عنه الشيخ ابن عاشور المواقف للإيجي، وتفسير البيضاوي [13].
3. محمد بن عثمان النجار [14]، درس عليه ابن عاشور كتاب "المكودي على الخلاصة في النحو"، ومختصر السعد في البلاغة، و"المواقف في علم الكلام"، و"البيقونية في المصطلح [15].
4. الشيخ صالح الشريف [16]، قرأ عليه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شرح الشيخ خالد الأزهري، وقطر الندى لابن هشام، والمكودي على الخلاصة في النحو، والسلم في المنطق، ومختصر السعد على العقائد النسفية، والتاودي على التحفة في الفقه [17].
5. سالم بو حاجب [18]، وقد قرأ الشيخ عليه: "الموطأ" بشرح الشيخ الزرقاني، و "صحيح البخاري" بشرح القسطلاني [19].

(10) ينظر: مقدمة تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تح: الشيخ محمد الحبيب بن الخواجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ قطر، سنة :2004م، (1/ 154).

(11) ينظر: الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره" التحرير والتنوير" "، محمد بن سعد بن عبد الله القرني، إشراف د: محمد ولد سيدي ولد حبيب، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، السعودية، 1427هـ، (ص:11).

(12) ينظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور، حياته وآثاره، (ص:42).

(13) المصدر نفسه، (ص:43).

(14) الشيخ محمد النجار: هو أبو عبد الله محمد بن عثمان النجار، تلقى علومه بجامع الزيتونة ، من آثاره: مجموعة إملاءات على أمهات أحاديث "صحيح الإمام البخاري"، ومنها "مجموع الفتاوي"، وله كتاب "بغية المشتاق في مسائل الاستحقاق"، وتوفي سنة:1331ه. (ينظر: موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (11/ 1/ 120 -121).

(15) محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، (ص:38).

(16) أبو الفلاح الشيخ صالح الشريف، تخرج على كوكبة من علماء تونس، أمثال: عمر بن الشيخ، سالم بو حاجب وغيرهما، وانتصب للتدريس بالجامع الأعظم، ودرس عليه جماعة صاروا من الأعيان كالشيخ محمّد الطاهر بن عاشور والشيخ محمّد الخضر بن الحسين، توفي سنة :1338هـ. (ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف، (1/ 604 -605).

(17) محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، (ص:34).

(18) أبو النجاة سالم بن عمر بن سالم البنبلي، الملقب بأبي حاجب ، تلقى العلوم بجامع الزيتونة ، من مؤلفاته: حاشية على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، توفي سنة: 1342هـ. (ينظر: مسامرات الظريف بحسن التعريف ، أبي عبد الله محمد بن عثمان السنوسي، تح: محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، ط:1، سنة:1994م، (4/ 98 - 108)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف، (605/1).

(19) ينظر: شيخ الجامع الأعظم محمد بن طاهر العاشور، حياته، وآثاره، (ص:44).

6. محمد النخلي [20]، قرأ عليه "قطر الندى"، و"المكودي على الخلاصة" و"مقدمة الإعراب في النحو"، و "مختصر السعد في البلاغة"، و"التهذيب في المنطق" وتخرج به في أصول الفقه، فقرأ عليه: "شرح الحطَّاب على الورقات"، و"التنقيح" للقرافي، وفي الفقه المالكي "مياره على المرشد"، و"كفاية الطالب على رسالة ابن أبي زيد القيرواني" [21].

ولا شك أن شخصيّة علمية فذة كالطاهر بن عاشور تلقت العلم على يدي كثير من علماء عصره في شتى المجالات، تنبؤ على علو كعبه ورسوخ قدمه في العلم.

ثانيا تلاميذه:

هناك العديد من تلاميذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور يصعب حصرهم في هذا المقام، فالكثير ممن تتلمذ على يده أثناء تدريسه بجامع الزيتونة، وسأذكر هنا بعض تلاميذه:

1. عبد الحميد بن باديس [22]: وقد قال–عن تتلمذه على الطاهر بن عاشور: ((وإن أنس فلا أنسى دروسًا قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور، وكانت أول ما قرأت عليه، فقد حببني في الأدب والتفقه في كلام العرب، وبثّت فيّ وحًا جديداً في فهم المنظوم والمنثور، وأحيت فيّ الشعور بعز العروبة والاعتزاز كما أعتز الإسلام)) [23] .

2. محمد الفاضل ابن عاشور [24]: أحد رجال عصر النهضة، وأبرز المتخرجين على يد والده محمد الطاهر بن عاشور، فقد تتلمذ على يد والده منذ صغر سنه، وكان ملازما له وصار بمثابة التلميذ المقرب والصديق [25]

(20) محمد النخلي القيرواني، من أعلام جامع الزيتونة في عصره، كان يشار إليه بالرسوخ في العلم، وسعة الاطّلاع، وجودة البيان ، توفي بتونس سنة: 1924م. (ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، (5/ 26-27).

(21) ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، (ص: 38 ـ 39)، وموقف الطاهر بن عاشور من الإمامية الإثني عشرية، خالد بن أحمد الزهراني، تقديم: د.ـ صالح بن مقبل العصيمي التميمي، مركز المغرب العربي للدراسات والتدريب، ط:1، سنة:2010م، (ص:53).

(22) عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس: من كبار رجال الإصلاح والتجديد ، ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من آثاره "مجالس التذكير" في التفسير، و"العقائد الإسلامية" توفي بقسنطينة سنة: 1940م. (ينظر: معجَمُ أعلام الجزائر، مِن صَدر الإسلام حتَّى العَصر الحَاضِر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت ـ لبنان، ط: 2،سنة: 1980م، (ص:28)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة "من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم"، وليد بن أحمد الحسين الزبيري، وآخرون، مجلة الحكمة، مانشستر ـ بريطانيا، ط: 1،سنة:2003م، (2/ 1136) .

(23) أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه، "التحرير والتنوير"، الطالب: مشرف بن أحمد جمعان الزهراني، إشراف الدكتور: أمين محمد عطية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية، سنة:2006م،(ص:25).

(24) محمد الفاضل بن محمد الطاهر ابن عاشور: أديب خطيب، مشارك في علوم الدين، ومولده بتونس، ووفاته سنة 1970م، تخرج بالمعهد الزيتوني ، و شغل منصب مفتي الجمهورية، وهو من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة ورابطة العالم الإسلامي بمكة، من كتبه "الحركة الأدبية والفكرية في تونس"، و"التفسير ورجاله". (ينظر: الأعلام للزركلي، (6/ 325).

(25) منهج الفتوى وتطبيقاته عند محمد الطاهر ابن عاشور، إعداد الطالب: الفاتح تيبرماسين، إشراف أ ـ د: مسعود فلوسي، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة ـ الجزائر، سنة:1442هـ، (ص:12).

3 . محمد الحبيب ابن الخوجة [26]: تلقى العلم على يد الشيخ الطاهر ولزمه وحضر دروسه؛ فقد قال: ((عرفته عن قرب من ثلاثة عقود خلت، وكنت كثير التردد عليه والاستماع له، والتتبع لنشاطه والإفادة من خلقه الرضي وعلمه الواسع...)) [27].

ثالثا مؤلفاته: ترك الإمام ابن عاشور للمكتبة العربية والإسلامية دررا نفيسة تدل على تبحر الشيخ ورسوخ قدمه في العلوم الشرعية والعربية، سأذكر بعضا منها على سبيل الذكر لا الحصر:

أولا: آثاره في التفسير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد.

ثانيا: آثاره في الحديث: النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح، وكشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، وتعليقات وتحقيق على حديث أم زرع.

ثالثا: آثاره في الفقه وأصوله: آراء اجتهادية، الأمالي على مختصر خليل، حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب (تنقيح الفصول في الأصول)، الفتاوى، مقاصد الشريعة الإسلامية، الوقف وآثاره في الإسلام.

رابعاً: آثاره في الثقافة الإسلامية: أصول التقدم في الإسلام، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، أليس الصبح بقريب.

خامساً: آثاره في اللغة والأدب: أصول الإنشاء والخطابة، سرقات المتنبي ومشكل معانيه، قصيدة الأعشى الأكبر، موجز البلاغة، الواضح في مشكلات شعر المتنبي.

سادساً: آثاره في التاريخ والتراجم: قصة المولد النبوي الشريف، تحقيق قلائد العقيان لأبي نصر الفتح ابن خاقان.

4) ثناء العلماء عليه، ووفاته.

أولا ثناء العلماء عليه: تعدت أقوال علماء عصره في الثناء عليه من أقرانه وتلاميذه:

فقد قال عنه صديقه الشيخ محمد الخضر حسين[28] ((شب الأستاذ على ذكاء فائق، وألمعية وقَّادة، فلم يلبث أن ظهر نبوغه بين أهل العلم...وكنت أرى شدة حرصه على العلم ودقة نظره متجليتين في لحظاته وبحوثه...وللأستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان، ويضيف إلى غزارة العلم وقوة النظر صفاء الذوق وسعة الاطلاع في آداب اللغة، ...))[29]، وكان دائما يصفه بـ: "العلامة العمدة النحرير الأكمل"، و"شيخ جامع الزيتونة الأعظم"[30].

(26) وقد تقلَّد ابن الخوجة جملة من المناصب التي تقلَّدها ابن عاشور من قبل مثل عمادة الكلية الزيتونية، ومنصب الإفتاء بالجمهورية التونسية، ثم شغل منصب الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بجده، وله مجموعة من المؤلفات والمقالات المنشورة القيمة. (ينظر: شيخ الجامع الأعظم محمد بن طاهر العاشور، حياته، وآثاره، (ص:67).

(27) المصدر نفسه، (ص:67).

(28) محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي، عالم، وأديب، وشاعر، ولد في تونس، وتلقى العلم بجامعة الزيتونة، ودرّس في الأزهر. ثم كان من (هيئة كبار العلماء) وعين شيخاً للأزهر، وتوفي بالقاهرة سنة :1958م. (ينظر: الأعلام للزركلي ، (6/ 113-114)، ومعجم المؤلفين، عمر بن رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، (9/ 279).

(29) موسوعة الأعمال الكاملة، للأمام محمد الخضر بن الحسين (11/ 1/ 156- 157).

(30) المصدر نفسه، (11/ 2/ 11)، و(11/ 2/ 82).

وقال عنه تلميذه الشيخ عبد الحميد بن باديس: ((رجلان يشار إليهما بالرسوخ في العلم، والتحقيق في النظر، والسمو والاتساع في التفكير. أولهما: العلامة الأستاذ شيخنا محمد النخلي القيرواني، وثانيهما: العلامة شيخنا محمد الطاهر ابن عاشور)) [31].

ومما قال عنه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي [32]: ((الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور علم من الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره. فهو إمام متبحر في العلوم الإسلامية، تخرجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي...)) [33].

ثانيا وفاته: توفي رحمه الله في الثالث عشر من شهر رجب سنة (1394هـ)، الموافق الثاني عشر من شهر أغسطس سنة(1973م) بعد حياة حافلة بالعلم والتجديد والإصلاح [34].

المطلب الأول

علم المناسبات، وما يتعلق به

1) التعريف بعلم المناسبات:

أولا المناسبة لغة: يقول ابن فارس [35]: "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيءٍ بشيء، ومنه النَّسب سُمِّي لاتصاله وللاتصال به [36].

ويقول الراغب الأصفهاني [37]: "وتستعمل النسبة في مقدارين متجانسين بعض التجانس يختص كل واحد منهما بالآخر"[38].

إذاً فالمعنى اللغوي للمناسبة: هو كل اتصال أو تجانس بين شيئين يوجد بينها ترابط وانسجام.

ثانيا المناسبة اصطلاحا: قال ابن العربي المالكي [39] في معنى المناسبة القرآنية: ((ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني))[40].

---

(31) محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، (ص:38).

(32) محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، من علماء الجزائر الكبار، ولد ونشأ بها، له كتاب :(شعب الإيمان)، وكتاب: (التسمية بالمصدر) و (أسرار الضمائر العربية) توفي سنة :1965م. (ينظر: الأعلام، للزركلي، (6/ 54)، ومعجم أعلام الجزائر، (ص:13).

(33) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيم، دار الغرب الإسلامي، ط:1، سنة:1997م، (549/3).

(34) ينظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور، حياته وآثاره، (ص68).

(35) أحمد بن فارس بن زكريا، القزويني، أبو الحسين، ولد سنة :329هـ، من أئمة اللغة والأدب، له: مقايس اللغة، اختلاف النحويين، الإتباع والمزاوجة، توفي سنة:395هـ. (ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان ـ صيدا،(381/2).

(36) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة:1979م، (423/5).

(37) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصبهاني، المعروف بالراغب، صاحب تصانيف كثيرة، منها:(مفردات في غريب القرآن، وأفانين البلاغة، والذريعة إلى مكارم الشريعة)، توفي رحمه الله سنة:502هـ. (ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ السيوطي، (297/2)، والأعلام، للزركلي، (255/2).

(38) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم و الدار الشامية، دمشق ـ بيروت، ط:1، سنة:1412هـ، (ص:801).

(39) القاضي أبوبكر محمد بن عبد الله بن محمد، المعروف بابن العربي الإشبيلي، ولد في أشبيلية سنة: 468هـ، له تأليف تدل على غزارة علمه وفضله منها:(العواصم من القواصم، وأحكام القرآن، والمسالك على موطأ مالك)، توفي رحمه الله بالقرب من فاس سنة:543هـ. (ينظر: شجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف، (199/1 ـ 204)، والأعلام، للزركلي، (230/6).

(40) سراج المريدين في سبيل الدين، أبو بكر ابن العربي، تح: د ـ عبد الله التوراني، دار التحديث الكتانية، طنجة ـ المغرب، بيروت ـ لبنان، ط:1،سنة:1438م،(144/4) .

وقال الزركشي:((أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها والله أعلم إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهي كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر)) [41].

ومن هنا يمكن أن تُعرّف المناسبة في الاصطلاح بأنها: معرفة وجه الارتباط بين الآيات بعضها ببعض.

2) موقف العلماء من وجود المناسبة في القرآن.

إن المتتبع لكتب التفسير بالأثر والاجتهاد يجد تفاوتاً بين المفسرين في آرائهم عن المناسبات القرآنية، وسأوردُ في هذا المطلب جملة من أقوال القائلين بالمناسبة والمعترضين عليها مع ذكر الراجح في المسألة.

أولا القائلين بالمناسبة:

1. القاضي عبد القاهر الجرجاني [42]: حيث يقول في عجز خصوم القرآن عن معارضته: ((وبهرهم أنهم تأملوه سورة سوره، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شانها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما، وإتقانا وإحكاما، لم يدع في نفس بليغ منهم، ولو حك بيافوخه السماء، موضع طمع، حتى خرست الألسن)) [43].

2. الزمخشري [44]: وهو منذ البداية يؤكد على التناسب في مقدمة تفسيره(الكشاف)فقال: ((الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاما مُؤلفًا منظما، ونزله بحسب المصالح مُنجما، وجعله بالتحميد مُفتتحا، وبالاستعاذة مختتمًا)) [45].

يقول الدكتور طارق مصطفى: ((صرَّح الزمخشري بنظم الكلم القرآني، ولفت في حديثه عن افتتاح القرآن واختتامه إلى كون القرآن وحدة واحدة، وألمح –وهو يُميز بين الإنزال والتنزيل –إلى أن الترتيب توقيفي، وهو ما أكده في تفسير سورة القدر؛ فالقرآن –بحسب ما يُفهم من كلام الزمخشري في المقدمة، حين أُنزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا –كان مؤلفًا منظمًا، ثم تنزَّل مُفرَّقًا على النبي صلى الله عليه وسلم، لكن جمعه في المصاحف كان وَفقًا للترتيب الأول)) [46].

3. القاضي أبو بكر بن العربي: وهو من الذين انتصروا للمناسبة، وقد نقل عنه الزركشي في البرهان قوله: ((ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة؛ متسقة المعاني، منتظمة المعاني، علم عظيم،

---

(41) البرهان في علوم القرآن، للزركشي ،(35/1).

(42) علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، من كبار العلماء بالعربية، ولد في تاكوسنة:740ه_ له نحو خمسين مصنفا، منها: (التعريفات، وشرح التذكرة في المنطق)، توفي ـ رحمه الله ـ بشرازسنة:816ه_ .(ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ السيوطي، (196/2 - 197).

(43) دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ـدار المدني بجدة ط: 3، سنة: 1992م، (39/1-41).

(44) محمود بن عمر بن محمد، أبو القاسم الزمخشري، الملقب بجار الله، ولد في رجب سنة 467ه_ بزمخشر، بارع في النحو، واللغة، مفسرا، كان إمام عصره ،له:(الكشاف في التفسير، والفائق في علوم الحديث، وأساس البلاغة، توفي سنة 538ه_.(ينظر: طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة ـ القاهرة، ط:1، سنة:1396ه_ ،(120-121).

(45)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الإمام: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ، دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط:3، سنة: 1987 م،(1/1).

(46) التناسب في سورة البقرة، إعداد الطالب: طارق مصطفى محمد، إشراف: د ـ حاتم جلال التميمي رسالة ماجستير، جامعة القدس ـ القدس، سنة: 2007م، (ص:22).

لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه بسورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه، فلمَّا لم نَجد له حَمَلة، ورأينا الخلق فيه بأوصاف البَطَلة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورَددناه إليه)) [47].

4 . فخر الدين الرازي [48]: وقد تحدث عن أهم علم المناسبات في أثناء تفسيره لسورة البقرة، حيث يقول: ((ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور))[49].

5. بدر الدين الزركشي [50]: وقد تحدث في كتابه البرهان في علوم القرآن عن التناسب باعتباره واحدًا من علوم القرآن، فعرَّفه وذكَر روَّاده، وأبرز المشتغلين به إلى زمانه، وردودهم على المعترضين، وقال عن علم المناسبات: ((واعلم أن المناسبة علم شريف، تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول)) [51].

6 –برهان الدين البقاعي [52]: وهو من أبرز من تكلم عن علم المناسبات وألف فيه، حيث يقول عن علم المناسبات ((وتتوقف الإجادة فيه . علم المناسبة . على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو)) [53].

7–السيوطي [54]: انتصر السيوطي لوجود المناسبة في القرآن، وقد ألَّف كتبًا كثيرة جاءت المناسبة جزءًا منها؛ مثل: (الإتقان)، و (معترك الأقران)، وقد نقل فيهما أغلب كلام الزركشي في (البرهان)، وألَّف أيضًا كُتبًا قصَرها على المناسبة؛ مثل: (تناسق الدرر في تناسب السور) وقد قال في المناسبة: ((علم المناسبة علم شريف، قل اعتناء المفسرين به لدقته)) [55].

---

(47) سراج المريدين في سبيل الدين، لابن العربي،(4/144-145).

(48) محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين، القرشي ، البكري، من ذرية أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ولد سنة: 544هـ ، له الكثير من المصنفات، منها: التفسير الكبير، والمحصول في أصول الفقة، توفي سنة:606هـ .(ينظر: طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي، (ص:120-121)،والأعلام، للزركلي،(178/7).

(49) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر ، الملقب بفخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:3، سنة: 1420هـ (7/ 106).

(50) محمد بن بهادر بن عبد الله، بدر الدين أبو عبد الله المصري الزركشي، ولد بمصر سنة: 745هـ ، برز في علم التفسير والحديث وفقه الشافعية، له تصانيف كثيرة في فنون عدة، منها: الديباج في توضيح المنهاج، والبرهان في علوم القرآن، والتنقيح لألفاظ الجامع الصحيح، توفي رحمه الله ـ بمصر سنة: 794هـ . (ينظر: طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد، تقي الدين ابن قاضي شهبة، تح: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى، سنة: 1407 هـ ، (3/167-168).

(51) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (35/1).

(52) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، برهان الدين، البقاعي، ولد سنة:809هـ ، صنف تصانيف عديدة من أجلّها: عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، والقول المفيد في أصول التجويد، توفي بدمشق سنة:885هـ . (ينظر: شذرات الذهب، لابن العماد، (9/ 509-510).

(53) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين البقاعي، مكتبة المعارف – الرياض، ط:1، سنة: 1987 م (142/1).

(54) الحافظ جلال الدين أبو الفضل، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن ساق الدين الخضري السيوطي الشافعي، ولد في رجب سنة:849هـ ، له مؤلفات كثيرة منها: الإتقان في علوم القرآن، والألفية في مصطلح الحديث، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الحاوي للفتاوي، وغيرها الكثير، توفي رحمه الله سنة:911هـ . (ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي ابن العماد الحنبلي، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير ـ دمشق: ط:1، سنة:1986م، (10/74-79) والأعلام، للزركلي، (3/301-302).

(55) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (369/3).

8. ابن عاشور: حيث ذكر ابن عاشور في تفسيره اهتمامه بعلم المناسبات، فقال: ((وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى: "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفضل القول تتطلع. أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقا على المفسر)) [56].

ومن خلال ما سبق يتبين أن جمهور العلماء من المتقدمين والمتأخرين يقولون بوجود التناسب بين أجزاء القرآن وآياته.

المعارضين للمناسبة:

ورد عن بعض العلماء معارضةٌ لهذا الفن، بزعم أنه تكَلُّف محض، وكان من أبرزهم:

1. سلطان العلماء العز بن عبد السلام[57]: فقد ذكر الزركشي في كتابه (البرهان) تحفُّظ الشيخ عز الدين بن عبد السلام على القول بالمناسبات في القرآن فقال: ((وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر، ومن ربط فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلًا عن أحسنه؛ فإن القرآن نزل في نَيِّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يأتي ربط بعضه ببعض ...)) [58] .

فسلطان العلماء لم يعارض وجود المناسبة والترابط بين الكلام، لكنه اشترط أن يقع الكلام في أمر متحد وما عدا ذلك فهو يراه أمرا متكَلَّفًا.

2 . الإمام الشوكاني[59] : فقد قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم﴾[60] يقول: ((أعلم كثيرًا من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله تعالى، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف؛ فجاؤوا بتَكَلُّفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه

(56) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر ـ تونس، سنة: 1984م (8/1).

(57) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، ولد سنة : 577ه ، فقيه شافعي، قيل إنه بلغ رتبة الاجتهاد، له مؤلفات منها: الإلمام في أدلة الأحكام، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، الإشارة إلى الإيجاز في بعض المجاز، توفي سنة660ه . (ينظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة،(2/109 110)، والأعلام، للزركلي،(21/4)

(58) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (37/1).

(59) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ولد بهجرة شوكان باليمن سنة:1173ه ، ونشأ بصنعاء وولي قضاءها سنة: 1229ه ، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، له مؤلفات منها: نيل الأوطار، فتح القدير في التفسير، وإرشاد الفحول في أصول الفقة. (ينظر: فهرس الفهارس، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير الكتاني، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: 2، سنة: 1982م، (1082/2).

(60) سورة البقرة، الآية: (40).

عنها كلام البلغاء فضلًا عن كلام الرب – سبحانه – حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف))[61].

إن ما ذمه الإمام الشوكاني من التكلف في هذا العلم لا شك أنه ذم في محله، إذ التكلف غير مقبول عموما، الظاهر من كلام الإمام الشوكاني . أعلم كثيرًا من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف . هو أن الإمام الشوكاني لما رأى البعض يتكلف في طلب التناسب بين الآيات والسور؛ خشي من خروج المفسرين إلى أغراض ثانوية على حساب الغرض الأساسي للتفسير؛ فَشن تلك الهجمة عليهم، ثم إنه قد حُفظ عن الإمام الشوكاني عند ترجمته للبقاعي في كتابه "البدر الطالع" قوله: ((إنه من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف))[62] ،ووصف تفسيره "نظم الدرر" بقوله: (ومن أمعن النظر في كتاب له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علمي المعقول والمنقول، وكثيرًا ما يشكل عليّ شيء في الكتاب العزيز وأرجع إلى مطولات التفسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي غليلي، وأرجع إلى هذا الكتاب فأجد ما يفيد...)) [63].

كما أنه ذكر في تفسيره (فتح القدير) بعض المناسبات بين الآيات، منها قوله في المناسبة بين قوله تعالى: {لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئم ئه} [64] والآية التي بعدها {لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج} [65] حيث قال: ((ثم لما بين سبحانه إحاطته بجميع الأشياء، وكان في ذلك تقوية لقلوب المطيعين، وكسر لقلوب العاصين، ذكر حال المطيعين، فقال: {لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج} [66].

الترجيح في المسألة:

ومن خلال استعراض رأي الفريقين يتبين أن القول الأول –وهو القول بالتناسب بين أجزاء القرآن الكريم . هو القول الراجح، وقد نقل الإمام السيوطي في (المعترك) قول الإمام ولي الدين الملوي،[67] في إثباته لمذهب جمهور العلماء، حيث قال: ((قد وَهِمَ من قال: لا يطلب للآية الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصلُ الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً، وتأصيلاً، فالصحف على وفق اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، الذي

(61) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق بيروت، ط:1، سنة: 1414ه، (1/585-86).

(62) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار المعرفة – بيروت، (1/20).

(63) المصدر نفسه، (20/1).

(64) سورة يونس، الآية: (61).

(65) سورة يونس، الآية: (62).

(66) فتح القدير، للشوكاني، (519/2).

(67) أحمد بن إبراهيم بن يوسف بن شرف القاضي جمال الدين الدبياجي الملوي المعروف بالمنفلوطي، ولد سنة:713هـ، كان فقيها مفسرا نحويا صوفياً، له تصانيف منها: إرشاد الطائف إلى علم اللطائف، عصمة الإنسان من لحن اللسان، حل الحباء لارْتِفَاع الوباء، توفي سنة:774هـ. (ينظر: طبقات الشافعية، لابن قاضى شهبة، (2/112 -113)، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، طبع بعناية: وكالة المعارف بإسطنبول، سنة: 1951م،(2/166).

ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها تكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم)) [68].

وأن ما قاله سلطان العلماء العز بن عبد السلام والإمام الشوكاني لا يخرج عن كونه اشتراط لمن يريد الخوض في هذا العلم.

3) أهمية علم المناسبات، والكتب التي عنيت به.

أولا: أهمية علم المناسبات:

إن لهذا العلم أهمية بالغة في تفسير القرآن، وبيان إعجازه النظمي، وقد ذكر العلماء أوجهاً كثيرة في أهمية العلم المناسبات، حيث تشابهت أقوالهم في الحديث عنه، وكان بينها قواسم مشتركة، وفيما يلي بيان لجملة أقوالهم في أهمية هذا العلم:

1. أن في هذا العلم إبراز لجانب من أسرار القرآن العظيم، وصور من إعجازه، قال الراغب الأصبهاني: ((فإن القرآن معجز. والركن الأبين للإعجاز يتعلق بالنظم والترتيب)) [69].

2. إن العلم بمعاني النّظم القرآني وتناسب أجزائه خير معين على زيادة تلاوة القرآن الكريم، قال الشيخ ابن عاشور في تعدد أساليب القرآن: ((وفي هذا التفنن والتنقل مناسبات بين المنتقل منه والمنتقل إليه هي في منتهى الرقة والبداعة بحيث لا يشعر سامعه وقارئه بانتقاله إلا عند حصوله. وذلك التفنن مما يعين على استماع السامعين ويدفع سآمة الإطالة عنهم، فإن من أغراض القرآن استكثار أزمان قراءته كما قال تعالى: {يخ يم يى يي ذ ٰ ِ ّ ُ ٌ ٍ ٱ} [70]

فقوله: ما تيسر يقتضي الاستكثار بقدر التيسير، وفي تناسب أقواله وتفنن أغراضه مجلبة لذلك التيسير وعون على التكثير)) [71].

3. إن في إظهار المناسبات في السور والآيات ما يساعد على فهم النص القرآني ويبين معناه، قال الإمام الزركشي: ((واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول)) [72]، وقال الإمام البقاعي: ((وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من علم النحو)) [73].

(68) معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية -بيروت– لبنان ط: 1، سنة:1988م، (1/ 44).

(69) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، (42/1).

(70) سورة المزمل، الآية :(20) .

(71) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (116/1).

(72) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (35/1).

(73) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي، (142/1).

4. إن طلب المناسبات فيه إعانة على الحفظ المتقن للقرآن الكريم، كما في قوله تعالى: {سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم} [74].

قال الإمام الرازي: ((يحكى أن قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه أعرابي فأنكره، وقال إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه)) [75]، فظهر من هذه القصة وغيرها أن في العلم بالتناسب القرآني ما يعين على الحفظ.

5 . أن المناسبة في أحيان كثيرة تكون مفتاح معرفة حِكَم القرآن ودُرره، والدليل على ذلك قول الإمام الرّازي: ((إن أكثر لطائف القرآن مُودعة في الترتيبات والروابط)) [76].

ثانيا: الكتب التي عنيت بعلم المناسبات:

إن ما كتب حول تناسب أجزاء القرآن الكريم قديماً وحديثا، لا يكاد يدخل تحت الحصر، وسيعرض الباحث بعضاً منها فيما يلي، مقسمة على النحو الآتي:

القسم الأول . الكتب التي أفردت لهذا الفن:

1. كتاب البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي الأندلسي، (ت 807 هـ).
2. كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام إبراهيم بن عمر البقاعي، (ت885هـ).
3. كتاب تناسق الدرر في تناسب السور، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ت911هـ).
4. كتاب جواهر البيان في تناسب سور القرآن، لعبد الله الغماري، (ت1993م).
5. كتاب الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، لمحمد أحمد يوسف القاسم.

القسم الثاني . الكتب التي تضمنت الحديث عن علم المناسبات، وجعلوه نوعا من علوم القرآن:

1. كتاب البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (ت795هـ).
2. كتاب الإتقان في علوم القرآن، للحافظ عبد الرحمن السيوطي، (ت911هـ).

القسم الثالث . أشهر كتب التفاسير التي لم تهمل الحديث عن علم المناسبات:

1 . تفسير مفاتيح الغيب، للإمام محمد بن عمر الرازي (ت 606هـ).
2. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للإمام حسين بن محمد النيسابوري، (ت 728هـ).
3. تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل، للإمام علاء الدين علي بن محمد الخازن، (ت 741هـ).
4. تفسير البحر المحيط، للإمام محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، (ت 745هـ) .
5. تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للإمام محمد بن مصطفى أبي السعود، (ت 982هـ).

(74) سورة البقرة، الآية :(209).

(75) مفاتيح الغيب، للإمام الرازي، (356/5).

(76) المصدر نفسه، (110/10).

6. تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام شهاب الدين محمود الألوسي، (ت 1270هـ).

7. تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد رضا، (ت1354هـ).

8. تفسير نظام الفرقان، عبد الحميد بن عبد الكريم الفراهي، (ت 1349هـ).

9. تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، (ت 1371هـ).

10. تفسير التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد "لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ).

القسم الرابع . أهم البحوث والرسائل العلمية التي كتبت في علم المناسبات:

1. المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، لعبد الله بن مقبل القرني رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، سنة:1413هـ.

2. الأسماء الحسنى ومناسبتها للآيات التي ختمت بها من أول سور المائدة إلى آخر سورة المؤمنون، لمحمد مصطفى آيدين رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، سنة:1989م.

3. التناسق البياني في القرآن، لأحمد أبو زيد، رسالة دكتوراه، جامعة محمد الخامس . الرباط، سنة:1992م.

4. فواتح السور وخواتيمها لعبد العزيز الخضري، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود، سنة: 1997م.

5. المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، جمعا ودراسة ونقد، لأحمد بن محمد بن قاسم مذكور، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، يرجع أصل سنة:2008م.

المطلب الثاني

علم مقاصد القرآن، وما يتعلق به

1) التعريف بمقاصد القرآن.

أولا المقاصد لغة: يرجع أصل هذه الكلمة إلى مادة (قصد)، قال ابن فارس: (("القاف والصاد والدال"، أصول ثلاثة: يدل أحدها على إتيان شيءٍ وأَمِّه، والآخر على اكتِناز في الشيء. فالأصل: قصدتُه قصدًا ومقصدًا. ومن الباب: أَقصَده السهم، إذا أصابه فقَتَل مكانه...، ولذلك سُميت القصيدة من الشِّعر قصيدةً لتقصيد أبياتها، ولا تكون أبياتها إلا تامَّةَ الأبنية)). [77]

والقصد: "استقامة الطريق، قصد يقصد قصدا، فهو قاصد، وقوله تعالى {ﯨ ﯩ ﯪ} [78] أي: على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة" [79].

فالقصد في اللغة إذاً هو العزم والتوجه نحو الشيء.

(77) مقاييس اللغة، لابن فارس(95/5).

(78) سورة النحل، الآية:(9).

(79) لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط: 3، سنة:1414ه ـ، (353/3).

ثانيا المقاصد القرآنية اصطلاحا: لم أقف على من عرّف مقاصد القرآن من أهل التفسير وعلوم القرآن ولا من الأصوليين، وقد أشار الدكتور عبد الكريم حامدي في كتابه: (المدخل إلى مقاصد القرآن) إلى ذلك، فقال: "لم أعثر على تعريف لمقاصد القرآن عند القدامى وكذا المعاصرين"[80].

إذاً فلا مناص للباحث عند محاولته لتعريف مقاصد القرآن من الرجوع إلى تعريف مقاصد الشريعة عند علماء الأصول، وقد عرفها العلماء والباحثون بتعريفات كثيرة، حيث يقول علال الفاسي [81]: "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كلّ حكم من أحكامها"[82]. ويقول الريسوني:" إن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد"[83].

ولم يعطي ابن عاشور تعريفاً محدداً لمقاصد الشريعة، وإنما قسمها قسمين: مقاصد للشرع ومقاصد للمكلفين، ثم قسم مقاصد الشرع إلى : مقاصد عامة، ومقاصد خاصة، فعرّف المقاصد العامة، فقال :" مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة"[84]، وعرف القاصد الخاصة فقال :" الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة"[85] .وعرف مقاصد المكلفين فقال :"فهي المعاني التي لأجلها تعاقدوا أو تعاطوا أو تغارموا أو تقاضوا أو تصالحوا"[86].

فبناءً على ما تقدّم يمكن تعريف مقاصد القرآن، بأنها الغايات التي من أجلها أنزل القرآن، أو يمكن القول بأنها الغايات والأسرار التي قصدها القرآن في خطابه للمكلفين.

2) الأدلة على مقاصد القرآن الكريم.

"إنّ الحديث عن مقاصد القرآن الكريم لا يكون كافياً مالم يتم الاستدلال عليه وإثباته بالأدلة والبراهين، لتسلم له العقول وتخضع له النفوس"[87]، وممّا يدل على أن للقرآن مقاصداً وحكمًا وأسراراً، ما جاء في نصوص قرآنيّة كثيرة، جاءت مقرونة ببيان الحكم والفوائد المقصودة من تشريعها، ومن هذه الحكم النهي عن الزنا في قوله تعالى: {ثى ثي فىفي قى قي كا كل كم كى} [88] "أي: قبيحا متبالغا في القبح مجاوزا للحد وساء سبيلا أي: بئس طريقا طريقه، وذلك لأنه يؤدي إلى النار، ولا خلاف في كونه من كبائر الذنوب" [89]

(80) المدخل إلى مقاصد القرآن، عبد الكريم حامدي، مكتبة الرشيد ـ الرياض، ط:1، سنة: 2007م، (ص:30).

(81) علال بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال، الفاسي، من كبار الخطباء العلماء في المغرب، له: دفاع عن الشريعة، مقاصد الشريعة ومكارمها، توفي سنة:1974م. (ينظر: الأعلام، للزركلي (246/4 - 247).

(82) مقاصد الشريعة الإسلاميّة ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط:5، سنة:1991م، (ص:7).

(83) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط:2، سنة:1992م، (ص:7).

(84) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر ابن عاشور،(165/3).

(85) المصدر نفسه،(402/3).

(86) المصدر نفسه،(402/3-403).

(87) المدخل إلى مقاصد القرآن، عبد الكرين حامدي، (ص:61).

(88) سورة الإسراء، الآية:(32).

(89) فتح القدير، للشوكاني، (265/3).

كما أن إثبات المقاصد للقرآن الكريم هو عينه إثباتٌ لمقاصد الشريعة بوجه عام، فكل ما استدل به أهل العلم على مقاصد الشريعة يدل على مقاصد القرآن، إذْ هو مصدرها ومنبعها الأصلي ، فهو الكتاب الذي أتزله أحكم الحكمين، المنزه عن العبث وعدم الحكمة، وفي هذا الصدد يقول ابن عاشور :"لا يمتري أحد في أن كل شريعة شُرعت للناس أن أحكامها ترمي إلى مقاصد مرادة لمشرّعها الحكيم تعالى، إذ قد ثبت بالأدلة القطعية أنّ الله لا يفعل الأشياء عبثاً، دلّ على ذلك صنعه في الخلقة كما أنبأ عنه قوله: {لهـ مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم} [90]"[91]. كما بين أهل العلم حقيقة مقاصد القرآن، فقد لخص الإمام الشاطبي [92] . رحمه الله . حقيقة مقاصد القرآن فقال:" فإذا نظرنا إلى رجوع الشريعة إلى كلياتها المعنوية، وجدناها قد تضمنها القرآن على الكمال، وهي الضروريات والحاجيات والتحسينيّات ومكمل كل واحد منها، وهذا كله ظاهر..."[93].

وبهذا يثبت علميا أن للقرآن مقاصدا وحكما شاملة لمصالح العباد في الدارين.

3) أهمية علم مقاصد القرآن.

تتأكد أهمية العلم بمقاصد القرآن الكريم من عدة وجوه، أبرزها:

1 . "أن المقاصد القرآنية هي الطريق الموصلة لتدبر القرآن الكريم، حيث أن الله . سبحانه وتعالى . حثنا على التدبر، فقال تعالى ﴿ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز} [94] وذم الله . عز وجل . المشركين الذين لا يتدبرون القرآن ولا يفقهونه؛ قال تعالى {لم لهـ مج مح مخ مم نج نح} [95]، وقال تعالى: {كا كل كم كى كي لم لى لي} [96]"[97]، وقد بين الإمام الشاطبي أهمية العلم بمقاصد القرآن في تدبر آيات الله، فقال: (فالتدبُّر إنما يكون لمن التفت إلى المَقاصِد) [98].

2 . إن العلم بمقاصد القرآن هي غاية المفسر، وقد بين ابن عاشور ذلك في تفسيره، فقال:(فغرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنى ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن) [99]، من هنا يتبين لنا أهمية العلم بمقاصد القرآن في التفسير.

3 . معرفة مقاصد القرآن الكريم هي المدخل السليم إلى فهم الرسالة القرآنية على وجهها الصحيح.

4) المقاصد القرآنية عند ابن عاشور، ومسلكه في تجليتها.

---

(90) سورة الدخان، الآية:(38-39).

(91) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر ابن عاشور، (35/3).

(92) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية من كتبه: (الموافقات في أصول الفقه) - (المجالس) شرح به كتاب البيوع من صحيح البخاري، توفي سنة:790هـ. (ينظر: الأعلام، للزركلي (1/75).

(93) الموافقات، أبو إسحاق اللخمي الشاطبي، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط:1، سنة:1997م، (182/4).

(94) سورة ص، الآية: (29).

(95) سورة النساء، الآية: (78).

(96) سورة محمد، الآية: (24).

(97) المقاصد القرآنية في سورة (ق)، حماد بن محمد يوسف، بحث منشور في مجلة تدبر، العدد الثامن، سنة:2020م، (ص:36).

(98) الموفقات، للشاطبي، (4/ 209).

(99) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (41/1).

أولا: المقاصد القرآنية عند ابن عاشور:

حث الإمام ابن عاشور مفسر القرآن على معرفة المقاصد التي نزل القرآن لبيانها، فقال :(حتى تستبين لكم غاية المفسرين من التفسير على اختلاف طرائقهم، وحتى تعلموا عند مطالعة التفاسير مقادير اتصال ما تشتمل عليه، بالغاية التي يرمي إليها المفسر فتزنوا بذلك مقدار ما أوفى به من المقصد، ومقدار ما تجاوزه) [100].

وأكّد أن المقصد الأعلى لنزول القرآن هو إصلاح أمر الناس كافة رحمة من الله بهم، واستدل على ذلك بقوله تعالى: {نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ َّ ُّ ئر ئز ئم ئن ئى} [101]

ثم قسم مقصد الإصلاح إلى ثلاث مقاصد، وهي:

أ . إصلاح الأحوال الفردية.

ب . إصلاح الأحوال الجماعية.

ج . إصلاح الأحوال العمرانية.

وربط بين هذه المقاصد برباط يؤكدُ على تداخلها واندماجها، وأنها راجعة إلى حفظ مقاصد الدين الذي تقرر عند علماء المسلمين، فقال:(فمراد الله من كتابه هو بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين وقد أودع ذلك في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطابا بينا وتعبدنا بمعرفة مراده والاطلاع عليه فقال: {ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر}[102]"[103].

ثم عدد الإمام ابن عاشور بطريق الاستقراء كما قال، مقاصد القرآن على وجه التفصيل بعد أن بين مقاصد القرآن على وجه الإجمال، وسمى هذه المقاصد التفصيلية المقاصد الأصلية، وهي:

1. إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح.
2. تهذيب الأخلاق.
3. التشريع.
4. سياسة الأمة.
5. القصص وأخبار الأمم السالفة.
6. التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين.
7. المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير.
8. الإعجاز بالقرآن.

ثانيا: مسلك ابن عاشور في تجلية المقاصد القرآنية:

اعتنى الباحثون بالمسالك التي صار عليها العلماء لتجلية مقاصد القرآن الكريم وكشفها، وقد قسمها الباحثون إلى مسالك ظنية وقطعية، كما هو الحال في الكشف عن مقاصد الشريعة بوجه عام [104]، ويرى صاحب رسالة مقاصد القرآن الكريم عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، أن من أهم الأدوات التي ساهمت في تجلية

(100) المصدر نفسه،(38/1).

(101) سورة النحل، الآية: (89).

(102) سورة ص، الآية:(29).

(103) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (31/1).

(104) ينظر: المدخل إلى مقاصد القرآن، عبد الكريم حامدي، (ص:143، وما بعدها).

مقاصد القرآن عن الإمام ابن عاشور، الاستقراء، وظاهر النص القرآني، واللغة العربية [105]، وقد استخرج الباحث هذه المسالك مما قرره ابن عاشور وأكد عليه في سياق حديثه عن المقاصد القرآنية ومسالك تحصيلها [106].

أ . الاستقراء: كان للاستقراء عند ابن عاشور الأثر البالغ في تجليته لمقاصد القرآن الكريم، وهذا ما نص عليه بعد بيانه للمقاصد الأصلية للقرآن، فقال :((وهذا ما بلغ إليه استقرائي)) [107].

ب . ظاهر النص القرآني: ومن الأدوات التي اعتمد عليها ابن عاشور في تجلية للمقاصد في تفسيره، ظاهر النص القرآني، حيث بين ابن عاشور في المقدمة الرابعة عن طرائق المفسرين في تفاسيرهم فجعل ظاهر النص هو أول طريق للكشف عن مقصد القرآن، فقال:" فطرائق المفسرين للقرآن ثلاث، إما الاقتصار على الظاهر من المعنى الأصلي للتركيب مع بيانه وإيضاحه وهذا هو الأصل"[108].

ج . اللغة العربية: إن للغة دور كبير في بيان المقاصد القرآنية، حيث أن القرآن أنزل بلغة العرب، قال تعالى:{يم ين يى} [109] ويعتبر الإمام ابن عاشور من أكثر المفسرين اهتمام باللغة العربية، بل ومن أكثرهم توظيفا لها في تفسيره، حيث يتحدث في المقدمة الرابعة التي خصصها لبيان مقاصد القرآن، عن سر اختيار اللسان العربي، فبين أن الحكمة من ذلك:((كون لسانهم أفصح الألسن وأسهلها انتشارا، وأكثرها تحملا للمعاني مع إيجاز لفظه ..." [110] ونجده أيضا يتكلم عن العلاقة الوثيقة بين معرفة مقاصد القرآن وبين طريقته في إطلاق الألفاظ، فيقول: "فلا جرم كان رائد المفسر في ذلك أن يعرف على الإجمال مقاصد القرآن مما جاء لأجله، ويعرف اصطلاحه في إطلاق الألفاظ، وللتنزيل اصطلاح وعادات...))[111].

فهذه أهم الأدوات التي ساعدت ابن عاشور في الكشف عن مقاصد القرآن.

المطلب الثالث

نموذج تطبيقي على أثر مقصد إصلاح الاعتقاد في توجيه المناسبات عند ابن عاشور.

قوله تعالى: {لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئحئخ ئم ئه بج بح بخ بم} [112] ومناسبتها لما قبلها في قوله تعالى: {تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثنثى ثي فى في قى قي كاكل كم كى كي لم} [113].

(105) مقاصد القرآن الكريم عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره ـ دراسة نظرية مع نماذج تطبيقية، إعداد الطالب: سفيسيفي عبد الرحيم، إشراف الدكتورة: بولخراص كريمة، سنة: 2015- 2016م،(ص:59).

(106) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (39/1 ـ 40).

(107) المصدر نفسه، (41/1).

(108) المصدر نفسه، (42/1).

(109) سورة الشعراء، الآية: (195).

(110) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (39/1).

(111) المصدر نفسه،(41/1-42).

(112) سور الأنعام، الآية(122).

(113) سور الأنعام، ، الآية(123).

أولا: وجه مناسبة الآية عند ابن عاشور.

قال ابن عاشور في توجه المناسبة: "أومن كان ميتا عاطفة لجملة الاستفهام على جملة: وإن أطعتموهم إنكم لمشركون لتضمن قوله: وإن أطعتموهم أن المجادلة، المذكورة من قبل، مجادلة في الدين: بتحسين أحوال أهل الشرك وتقبيح أحكام الإسلام التي منها: تحريم الميتة، وتحريم ما ذكر اسم غير الله عليه. فلما حذر الله المسلمين من دسائس أولياء الشياطين ومجادلتهم بقوله: وإن أطعتموهم إنكم لمشركون أعقب ذلك بتفظيع حال المشركين، ووصف حسن حالة المسلمين حين فارقوا الشرك، فجاء بتمثيلين للحالتين، ونفى مساواة إحداهما للأخرى: تنبيها على سوء أحوال أهل الشرك وحسن حال أهل الإسلام"[114].

ثانيا: الأقوال الواردة في المناسبة عند المفسرين والمقارنة بينها وبين ما ذكره ابن عاشور.

قال الفخر الرازي:((اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية الأولى أن المشركين يجادلون المؤمنين في دين الله ذكر مثلا يدل على حال المؤمن المهتدي وعلى حال الكافر الضال فبين أن المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فجعل حيا بعد ذلك وأعطي نورا يهتدي به في مصالحه وأن الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها لا خلاص له منها فيكون متحيرا على الدوام)) [115].

قال أبو حيان [116]: ((لما تقدم ذكر المؤمنين والكافرين مثل تعالى بأن شبه المؤمن بعد أن كان كافرا بالحي المجعول له نور يتصرف به كيف سلك، والكافر بالمختلط في الظلمات المستقر يها دائما ليظهر الفرق بين الفريقين والموت والحياة والنور والظلمة مجاز فالظلمة مجاز عن الكفر والنور مجاز عن الإيمان والموت مجاز عن الكفر)) [117].

ثالثا: بيان أثر مقصد إصلاح الاعتقاد في توجيه المناسبة عند ابن عاشور.

يظهر جليا أن ابن عاشور من خلال ما ذكره في المناسبة يؤكد على مقصد إصلاح الاعتقاد، وذلك بأن المجادلة في الدين من المشركين كان غرضها تحسين أحوال أهل الشرك، وتقبيح أحوال الإسلام والاستهزاءُ بها، فقد جاء ذمه وبطلانه في الآيات التي سبقت تمثيل حال المؤمنين والكافرين، وقد اعتنى ابن عاشور في تأكيد هذا الأمر من خلا أغراض سورة الأنعام ومقاصدها عموما، فأكّد أن من أغراض سورة الأنعام إبطال ما شرعه أهل الشرك من شرائع.

---

(114) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (43/8).

(115) مفاتيح الغيب، للرازي(13/ 132).

(116) محمّد بن يُوسُف بن عَليّ بن يُوسُف بن حَيَّان الإمَام أثير الدّين أَبُو حَيَّان الأندلسي الغرناطي، له من التصانيف: البحر المحيط في التفسير، النَّهر مختصره، توفي سنة: 745هـ. (ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، (280/1وما بعدها).

(117) البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل العطار،وزهير جعيد، عرفان العشا حسّونة، دار الفكر – بيروت 1420 هـ (634/4).

الخاتمة:

في ختام هذا البحث توصل الباحث إلى هذه النتائج:

1. إن الإمام ابن عاشور له دورٌ بارز في إظهار علم المقاصد القرآنية وبين أنواعها.
2. أهم الأدوات التي ساعدت ابن عاشور في الكشف عن مقاصد القرآن، الاستقراء، وظاهر النص، واللغة العربية.
3. يبرز ابن عاشور مقاصد القرآن أثناء حديثه عن وجه المناسبة بين الآيات.

التوصيات:

1. لابد من الدارسين في التفسير وعلوم القرآن من البحث والدراسة في علم مقاصد القرآن فإن المجال لا يزال مفتوحا للبحث فيها.
2. يمكن دراسة المقاصد الأصلية في تفسير التحرير والتنوير، من الجانب التطبيقي، فمثلا: مقصد تهذيب الأخلاق في القرآن من خلال تفسير ابن عاشور.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، برواية الإمام حفص عن عاصم.

1. تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان ط:2، سنة1994م
2. شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . قطر، سنة: 2004م.
3. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية . لبنان، ط:1، سنة:1424هـ –2003م.
4. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط:15، سنة: 2002م.
5. موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، ت: علي الرضا الحسينين، دار النوادر. سوريا، ط: 1، سنة 2010 م.
6. محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، إياد خالد الطباع، دار القلم، دمشق، ط: 1، سنة:2005م.
7. شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور، حياته وآثاره، بلقاسم الغالي، دار ابن حزم، بيروت، ط:1، سنة:1996م.
8. تحقيق كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، لابن عاشور، تح: طه بن علي التونسي، دار سحنون، ط:2، سنة: 1428هـ/2007م.
9. أليس الصبح بقريب، محمد الطاهر ابن عاشور، درا السلام: القاهرة، ط:1، سنة: 1427هـ/2006م.

10. مقدمة تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تح: الشيخ محمد الحبيب بن الخواجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . قطر، سنة :2004م.
11. الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره" التحرير والتنوير" "، محمد بن سعد بن عبد الله القرني، إشراف د: محمد ولد سيدي ولد حبيب، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، السعودية، 1427هـ.
12. مسامرات الظريف بحسن التعريف، أبي عبد الله محمد بن عثمان السنوسي، ت: محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي . بيروت، ط:1، سنة:1994م.
13. موقف الطاهر بن عاشور من الإمامية الإثني عشرية، خالد بن أحمد الزهراني، تقديم: د. صالح بن مقبل العصيمي التميمي، مركز المغرب العربي للدراسات والتدريب، ط:1، سنة:2010م.
14. معجَمُ أعلام الجزائِر، مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت . لبنان، ط: 2، سنة: 1980م.
15. الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة "من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم"، وليد بن أحمد الحسين الزبيري، وآخرون، مجلة الحكمة، مانشستر. بريطانيا، ط: 1، سنة:2003م.
16. أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه، "التحرير والتنوير"، الطالب: مشرف بن أحمد جمعان الزهراني، إشراف الدكتور: أمين محمد عطية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى . المملكة العربية السعودية، سنة:2006م.
17. منهج الفتوى وتطبيقاته عند محمد الطاهر ابن عاشور، إعداد الطالب: الفاتح تيبرماسين، إشراف أ . د: مسعود فلوسي، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة . الجزائر، سنة:1442هـ.
18. معجم المؤلفين، عمر بن رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
19. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيم، دار الغرب الإسلامي، ط: 1، سنة: 1997م.
20. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان . صيدا.
21. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة: 1979م.
22. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق . بيروت، ط:1، سنة:1412هـ.
23. طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد، تقي الدين ابن قاضي شهبة، تح: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى، سنة: 1407 هـ.

24. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية. بيروت، ط: الأولى، سنة: 1957م.
25. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي ابن العماد الحنبلي، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير. دمشق: ط:1، سنة:1986م.
26. الإتقان في علوم القرآن، للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة :1974م.
27. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة –دار المدني بجدة ط: 3، سنة: 1992م.
28. طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، ط: 1، سنة: 1396هـ.
29. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الإمام: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الريان للتراث بالقاهرة –دار الكتاب العربي ببيروت، ط: 3، سنة: 1987م.
30. التناسب في سورة البقرة؛ إعداد الطالب: طارق مصطفى محمد، إشراف: د . حاتم جلال التميمي رسالة ماجستير، جامعة القدس . القدس، سنة: 2007م.
31. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر، الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 3، سنة: 1420هـ.
32. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين البقاعي، مكتبة المعارف – الرياض، ط:1، سنة: 1987م.
33. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر . تونس، سنة: 1984م.
34. فهرس الفهارس، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير، المعروف: بعبد الحي الكتاني، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: 2، سنة: 1982م.
35. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق بيروت، ط:1، سنة: 1414هـ.
36. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار المعرفة – بيروت.
37. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، طبع بعناية: وكالة المعارف بإسطنبول، سنة: 1951 –1955هـ.

38. معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان ط: 1، سنة: 1988م.
39. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي . القاهرة.
40. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين ابن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر . بيروت، سنة:1900م.
41. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار صادر . بيروت، ط:3، سنة:1414هـ.
42. المدخل إلى مقاصد القرآن، عبد الكريم حامدي، مكتبة الرشيد . الرياض، ط:1، سنة:2007م.
43. مقاصد الشريعة الإسلاميّة ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط:5، سنة:1991م.
44. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط:2، سنة:1992م.
45. الموافقات، أبو إسحاق اللخمي الشاطبي، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط:1، سنة:997 م.
46. المقاصد القرآنية في سورة (ق)، حماد بن محمد يوسف، بحث منشور في مجلة تدبر، العدد الثامن، سنة:2020م.
47. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب السبكي، ت: د. محمود محمد الطناحي . د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط:2، سنة:1413هـ.
48. البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل العطار، زهير جعيد، عرفان العشا حسّونة، دار الفكر – بيروت، سنة:1420هـ.